

## دعوة للتواصل اللغوي بين المشرق والمغرب العربيين

أكرم علي حمدان

## انقطاع الصلة بين المشرق والمغرب العربيين

فأجاني أن كثيراً من إخواننا المشاركة، حتى المتقنين منهم، لا يعرفون إلا أقل القليل عن المغرب العربي، وما يدور فيه من أحداث ويشغل شعوبه من هموم، ناهيك بمعرفة طبائع هذه الشعوب وثقافتها، والتواصل معها، وإعطائها والأخذ عنها، ومعرفة ما عندها من معارف وآداب وعلوم وفنون. وزاد من وقع المفاجأة أنهم لا يشعرون في ذلك بالتقصير، أو يقع لهم أنهم غدوا، كغيرهم، من ضحايا الاستعمار المشؤوم الذي حقق فيهم أمانئيه وأحلامه، بتقطيع أوصال الأمة العربية الإسلامية وتشثيتها شرادم متفرقة، لا تجمعها رابطة، ولا يشدها وثاق، بل يجهل بعضها بعضاً، وينكر بعضها بعضاً، كأن لم تكن بينها يوماً صلة، ولا ربط بينها يوماً رباط. ولقد اتصل هذا الانقطاع، وامتدت حباله، حتى تجاوز الأمر جهل المشرقي بالمغربي، والمغربي بالمشرقي، إلى أن وقع في نفوس كل من الفريقين توجس من الآخر، وتبرم به، وانعطف عنه، ولا سيما من جانب المشاركة، وقد نسوا أن إخوانهم المغاربة لهم كالعضد للكف، والعمود للسقف، وأنهم مثلهم، لسانهم العربية، ودينهم التوحيد. ولقد وقعت بعد أن حطّطت هذه الكلمات على كلمة لأمين الريحاني في الفصل الثاني عشر من كتابه عن المغرب الأقصى، الذي تناول فيه موضوع نهضة التعليم، يقول فيها: «إن عرب المشرق ليجهلون ما في المغرب الأقصى»، ثم أكد ذلك بقوله: «أما جهلنا في سورية مثلاً، أو في العراق وشبه الجزيرة لشؤون المغرب، فهو أكثر من جهل المغاربة لشؤوننا». ولا يُستثنى من ذلك إلا ما كان ويكون من بعض المؤتمرات العلمية واللغوية، أو اللقاءات الفكرية والسياسية، التي يقتصر أثرها على نذر من كلا الطرفين يسير، أما سائر الناس فهم عنها غافلون، أو فيها زاهدون. وقد ردّد هذا الشكوى غير واحد، منهم الشيخ علي الطنطاوي، الذي قال في مقالة له عن ظهور مجلة الرسالة، وهو يُعدّد ما يقرأ من المطبوعات: «أما المغرب فقد قطع المستعمرون صلتنا به، فلا يصل إلينا شيء من مطبوعاته»، والعقاد الذي جعل اللوم على الصحافة التي لا تصل إلى المشاركة كما يجب، ولا سيما بعد أن فوجئ بمستوى التميز والإبداع لدى شاعر ليبيا أحمد رفيق المهدي.

ولم يزد كُرّ الأيام وتعاقب الليالي هذه القطيعة إلا توسعاً ورسوخاً، فها هو الدكتور الطناحي، رحمه الله، يكرر شكوى الريحاني بعد حوالي نصف قرن من الزمان، ولكن على لسان المغاربة هذه المرة، إذ افتتح حديثه عن نشر التراث في المغرب في كتابه الماتع «مدخل إلى نشر التراث العربي» بقوله: يشكو المغاربة المعاصرون من أن إخوانهم في المشرق لا يعرفون عنهم إلا النزر اليسير، في حين أنهم يعرفون عنهم كل شيء. إن ما تحقق من القطيعة بين شعوب هذه البلاد التي تتكلم لغة واحدة، وتدين بدين واحد، ويجمعها تاريخ واحد، ويؤلف بين قلوبها ربّ واحد، لهُو فوق ما كان ينتظره المستعمر، ووراء ما كان يطمع فيه، ذلك بأن هذه القطيعة تجاوزت بُعد المسافة لتقع بين الجيران أنفسهم، كالمغرب والجزائر، بما نزع بينهما شيطان الاستعمار، وأوقع بينهما من خلال مشكلة الحدود التي لا يزال يذكي جذوتها، ويوسع دائرتها، والقوم عن كل ذلك غافلون، أو به راضون.

## ضعف اللغة العربية في بلاد

## المغرب العربي

منهم من أثار الفرنسيين والأسبان<sup>٢</sup>، ولا سيما مع عدم تمكن كثيرين من أهل المغرب من العربية، بسبب الأصول الأمازيغية، مع الاختلاف الكبير في العادات، والبون الشاسع في اللهجات، حتى إن أكثر المشاركة لا يكادون يفهمون مما يقول المغاربة إلا القليل. كما رسخه طغيان العامية لدى الفريقين عمومًا،

وأكد هذا الانقطاع ضعف عربية المغاربة في الجملة، وعجمة أصابت كثيراً

وانشغالهم بهمومهم، وانصرافهم إلى شؤون معاشهم، وقصر باع الأكثرين منهم عن السفر والحل والترحال. وزاد الطين بلة ضعف الجهات الرسمية في بلاد المغرب عن رعاية العربية، وقلة حيلتها في نشرها، وانصرافها إلى ما شغلت به عنها. ثم ما ابتليت به تلك البلاد من ميل المغاربة إلى الثقافة الفرنسية التي جعل لها الاستعمار جذورًا يعيا باستئصالها في أوساط المثقفين والأكاديميين المغاربة، ثم ما يقع في تلك البلاد من الضرب على وتر العرقيات والأقليات المختلفة، كالأمازيغية في المغرب والجزائر، التي قامت فيها نخب تنادي بمعاداة العربية، ولا سيما إبان الاستعمار البغيض، الذي أذكى جذوة التفرقة اللغوية، وأسس لها، حتى ظل من ينادي بها حتى بعد رحيله، لتفرقة شعوب عاشت قرونًا متوحدة، لا تعرف للخلاف سبيلًا، ولا للقطيعة وجهًا.

فإخواننا الأمازيغ مسلمون يعتزون بإسلامهم، ويرَوْن، من قديم، حب اللغة العربية مما يوجبه الإسلام عليهم، فهم يفخرون بها وينافحون عنها، ولم يروا يوماً أنها تتصادم مع لغتهم الأصلية، فلقد عاشت الأمازيغية إلى جانب العربية لأكثر من أحد عشر قرنًا من الزمان، لم تراحم أحدهما الأخرى، فضلاً عن أن تنازعا أو تعاديا، بل كان كثير من أهل الأمازيغية يرون أن الله قَوِّم بالعربية أَسْنَتَهُم، وآتَاهُمْ، إذ آتَاهُمْ إِيَّاهَا، فضلاً من لدنه وخيراً كثيراً، ولذلك ترى أكثر الأسماء بينهم، بعد اسم محمد، هو «العربي»، تشرقاً

واعترازًا.

وقد حفظت لنا كتب التراجم أسماء كثيرين منهم ممن كانت لهم في اللغة العربية وعلومها جهود مشكورة، وأياد بيضاء، تأليفًا ونشرًا وتدريسًا، نذكر منهم أحمد بن عبد العزيز المصمودي المتوفى عام ٤٠٠ للهجرة، قال فيه البغدادي: كان حافظًا ضابطًا عالمًا باللغة ومن جلة شيوخ الأدب. ومنهم محمد ابن جعفر القزاز، المتوفى عام ٤١٢ للهجرة وصاحب المصنفات الفخمة الكبيرة، كانت له يد طولى في تصحيح العربية بالأندلس بعد أبي علي البغدادي. ومنهم الأديب اللغوي النحوي أبو عمر عثمان بن سعيد التينملي البربري المتوفى عام ٦٠٥ للهجرة، وغيرهم الكثير. ولم ننسى بعيدًا ولدينا متن الأجرومية لابن أجيروم المغربي الأمازيغي، وهو من أهم متون النحو العربي وأوسعها انتشارًا في الأصقاع.

على أن الأمازيغية في هذه البلاد ليست لهجة واحدة، بل لهجات متباينة، تكاد تربو على الثلاث مئتين، ولعل أشهرها أمازيغية أهل الريف المعروفة بالتاريخية، أو الثامازيغية، كما يجب أن يسميها أهلها، وأمازيغية الأطلس المتوسط وأمازيغية سوس والأطلس الصغير، إلى جانب لهجات أخرى كالتبائلية والنفوسية والغدامسية والطوارقية. وبات الساعي في إحياء هذه اللهجات وإحلالها محل العربية كمن يحاول أن يحيي العظام وهي رميم، دع عنك ما يشكلك ذلك من عقبات في وجه نمو العربية في بلاد

المغرب، وخسارة تلك البلاد بذلك لوادة من أهم اللغات العالمية اليوم. أضف إلى ذلك تقصير الإخوة المغاربة عمومًا في نشر ثقافتهم اللغوية، والتعريف بشعرائهم وكتابتهم، مع كثرتهم وجودة أعمالهم، حتى جعل الدكتور محمد ناصر هذا الأمر أول أسباب اختياريه الشعر الجزائري الحديث موضوعًا لبحثه الذي قدمه لنيل درجة الدكتوراه من معهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر، إدراكًا منه لحاجة المكتبة العربية إلى مزيد من التعرف على الشعر الجزائري المكتوب باللغة العربية في فترة من أهم فترات تاريخنا خصوبة وعطاء. قال: «فإن الكثير من هذا الشعر لا يزال مجهولًا، متناثرًا طيَّ الدوريات هنا وهناك، في حاجة إلى الجمع والدراسة والتقييم.» وقد أشار إلى هذا التقصير غير واحد، منهم الأستاذ محمد صالح الجابري، الذي حمد لدار الغرب الإسلامي التعريف بكتابه عن شعراء تونس المعاصرين لدى القراء المشاركة، بعد أن طُبِع الكتاب قبل طبعيتين مغربيّتين لم تتجاوزا حدود دول المغرب العربي.

### ضرورة التواصل اللغوي بين المشرق والمغرب العربيين

لقد بنتا نعيش في زمن التكتلات الكبرى التي لا تقيم للضعيف وزنًا، وباتت شعوب العالم تدرك أهمية التوحيد والتكامل، وخطر التفرق والتشردم، حتى رأينا دولًا تتوحد وليس بينها من دواعي التوحد معشار

وإن كان منهم من لم نجمه في المشرق العربي، كإبن خلدون، وإبن بطوطة، والإمام إبن عبد البر، حافظ المغرب، وصاحب الأعمال التي اتسمت بالعمق والسعة والاتزان، وإبن رشد الحفيد، فيلسوف المغرب، بل فيلسوف العرب، في شمولية تصوراتهِ وبعد نظره، والقاضي عياض السبتي علامة المغرب ذي المدارك القوية والاستنباطات الجليلة، والإمام الأصيلي راوية المغرب، صاحب الأسانيد العالية والروايات المتقنة، والحافظ الناقد إبن القطان الفاسي، الذي عرف بعمق نقده وقوة عارضته، وإبن رشيق القيرواني، الناقد الأريب، وإبن حازم القرطاجني، فإن كثيرين منهم ظل مجهولاً لدى أغلب المشاركة، ولم يسمع به سوى من كان منهم مهتماً، أو من أهل الاختصاص.

بل لقد رأيت من المشاركة المختصين من لا يزال يجهل إماماً كبيراً كالطاهر بن عاشور، رغم انتشار كتبه وذيوع سيطه، ناهيك بما كتب عنه تعريفاً به واحترافاً بتراثه، ككتاب الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة الذي يقع في ثلاثة مجلدات نشرتْها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر. أما اللغوي الكبير، عبد القادر المغربي، الذي كان حجة عصره في اللغة، فلا يكاد يسمع به أحد، مع أنه عاش في المشرق، وكتب في المنار، وراسل لغويي المشرق، وإليه كان يفتخرون أكابر الأدباء إذا اختلفوا في مسألة لغوية، كالشيخ محمد رشيد رضا وأمير البيان شكيب أرسلان.

نريد إذن أن نرى تلك الأعلام

صالحاً متنقلاً بين بلاد المشرق العربي، وأنه لم يمض على وفاته سوى نيف وأربعين عاماً، وأن مؤتمراً كبيراً عُقد في الذكرى الأربعين لرحيله، ساهم فيه عدد من علماء المشرق ومنتقفيه، منهم الدكتور عز الدين إبراهيم الذي أثار أن يسمي إسهامه في هذا المؤتمر «رؤية مشرقية لبعض إنجازات الإبراهيمي وإبداعاته»، والدكتور أسعد السحمراني الذي تحدث فيه عن الشباب في فكر الإبراهيمي.

ومن هنا، فعلى كل غيور على هذه اللغة الشريفة أن يبادر من موقعه بفتح خطوط تواصل مع إخواننا في المغرب العربي. أما الأكاديميون، فيجب أن يشجعوا الطلاب على التعرف على الأدباء والكتاب المغاربة الذين أسهموا في مسيرة الحضارة والفكر الإنساني، وما أكثرهم، وأن يحثوهم على القراءة لهم ضمن حملة القراءة والتوعية العامة، وهو أمر لم تعد تحول دونه الحواجز التي صنعتها يد البشر، ولا سيما مع ثورة الاتصالات التي قربت بين أرجاء العالم وأحاليته قرية صغيرة. وصدق أمين الريحاني الذي رأى أن التنافر بين هذه البلاد «مصدره الجهل والتباعد» وأنه «لا يزيله سوى التقارب فالتفاهم فالحب، فسلسلة من الكتب تعنى بأحوالها كلها وتعرض لجميع مناحي الخير والضعف فيها، تكون خير سفير لتعاطف هذه الأقطار وتقاربها ووحدها».

فليتعرف الطلبة في المشرق على أعلام الفكر والأدب والدين من المغاربة، في القديم والحديث، فهم

ما بين المشرق والمغرب العربيين، فهي هي ذي دول أوروبا، بأعراقها المختلفة، ولغاتها المتباينة، وتاريخها الذي تفوح منه روائح الدماء وثقافة الحروب، تتجمع بعد فرقة، وتتقارب بعد جفاء، لتصنع اتحاداً قوياً، يمدُّ في عمرها، ويُجدد لها دماء حياتها، بعد أن أوشكت على الهرم، متناسية ما كان بينها من بغض وشنآن، ومخططة عقبة تباين لغات أقوامها، بما تدرسه من المناهج وتضطلع به من الترجمات.

وإنه لمن المؤسف حقاً ألا تكون هذه حالنا، وأن تزداد الشقة بعداً بيننا وبين المغرب على الصعيد الثقافي، حتى في زمن الدعوة للوقومية العربية، إلا ما كان من بعض الاجتهادات الفردية المبعثرة، فجُلُّ ما كان يعرفه تلاميذ المدارس مثلاً نثاراً متفرقة عن حركة إبن باديس في الجزائر، وبضعة شعراء من هنا ومن هناك، كأبي القاسم الشابي ويبرم التونسي، إن أقرنا بتونسيتته. أما المغرب الأقصى، فإمّا استثنينا خارطة الوطن العربي، وما كان يلقنه معلم الجغرافيا للتلاميذ من أسماء الأقطار وعواصمها وصادراتها ووارداتها، فلا أذكر أنهم كانوا يدرسون عنه شيئاً قل أو أكثر.

وقد ألمني كثيراً جهل الكثرة الكاثرة من المشاركة بعلم كبير من أعلام المغرب العربي، بل من أعلام الوطن العربي، هو الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مع أنه «أصبح من المعروف عند الباحثين والطلبة أنه من أعيان المثقفين العرب والمسلمين في القرن العشرين»، وأنه سلخ شطراً من عمره

والجديد، والرجوع إليها والاستفادة منها، فمن لم يجد فمن خلال موقع المكتب على الشبكة حيث بات كثير من أعدادها من القراء على طرف الثمام. وليكن فينا ابن سعيد جديد، بعد رحيل العلامة إحسان عباس رحمه الله وأجزل مثوبته، ليكون شاهداً ثقافياً على التفاعل والتجاذب والنجدل بين المشرق والمغرب. فإحسان عباس كان الرمز الأعمق للتفاعل بين المشرق والمغرب في عصرنا الحاضر، كما أحب أن يصفه الدكتور محمد جابر الأنصاري في إهدائه كتابه «التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق، في آثار ابن سعيد المغربي»<sup>٦</sup>.

ولتنظم المدارس والجامعات، ما وسعها ذلك، رحلات متبادلة بين المشرق والمغرب العربيين، ليتعرف الأتراب على أترابهم، ويخالطوهم، ويحادثوهم.

### إعادة قراءة تاريخ المنطقة

بل وفي هذا دعوة لأبناء المشرق العربي لإعادة قراءة تاريخ خلفائنا الراشدين الكبار الذين كانت لهم في فتح إفريقية صولات وجولات، لأن فتح المغرب من أعظم أعمال الفتوح التي قام بها عرب الأجيال الأولى، وأكثرها بركة، وأدلها على ما تميزت به تلك الأجيال من عزيمة وإيمان، وقوة بأس وشدة مراس وقوة شكيمة، فكلما انهزم جيش أتى جيش، في فتوح دامت حوالي سبعين سنة، بذل العرب خلالها ما يعادل ما بذل في المشرق<sup>٧</sup>. هذه الفتوح التي ترجع إلى زمن سيد الشهداء عمر

الشؤون السياسية إلى الشؤون الثقافية والأدبية والاجتماعية.

كما أسعدني أيضاً ما تنظمه بعض الجهات في المغرب من جهود لنشر العربية، والدفاع عنها في وجه المتربصين بها، كالاتلاف الوطني من أجل اللغة العربية، بالمغرب العرب، وهو ائتلاف يضم ما يربو على مائة جمعية من مختلف جهات المملكة تهتم بشؤون العربية والدفاع عنها. ولكننا نأمل أن تتضاعف هذه الجهود، وأن تتوحد، وأن تتبادل الخبرات بين المشاركة والمغاربة، لأن ما يبذل من جهود متفرقة تذهب به رياح العامية الطاغية، وتكريس اللغات الأجنبية عبر الأقمار الصناعية، والمحطات الفضائية، التي أحكمت السيطرة على مناطق كاملة من تلك البلاد، كشمال المغرب مثلاً، فإنه لم تكن تصله المحطات المغربية حتى وقت ليس بالبعيد، بينما يستطيع أهله مشاهدة المحطات الأسبانية وكأنهم في لشبونة أو مدريد.

ولست أدري هل أدرج اختيار مدينة الرباط لتكون مقراً للمكتب الدائم لتنسيق التعريب ضمن هذه الخطوات التي نريد المزيد منها أم لا، فمن جهة كان اعترافاً بفضل المغرب العربي، وشداً لأواصر القربى بينه وبين بلاد المشرق، ولكنه من ناحية أخرى حرم الكثيرين من المشاركة من الاطلاع على كنوز إصدارات هذا المكتب، كمجلة «اللسان العربي» التي صدر أول أعدادها عام ١٣٨٤ للهجرة، وإنتي لأهيب بالأساتذة والدارسين طلب أعداد هذه المجلة، القديم منها

متداولة بين الطلبة المشاركة، وفي المناهج الدراسية في المدارس والجامعات، إلى جانب الروائيين والأدباء المغاربة، ثم جمهرة من الشعراء الذين أثرت بهم المكتبة العربية، وازدانت بأعمالهم روفوها، ممن ترجم لهم الشيخ محمد النيفر في كتابه (عنوان الأريب عما نشأ المملكة من عالم أديب)، والشيخ زين العابدين السنوسي في مختاراته، ثم الأستاذ محمد صالح الجابري في كتابه الشعر التونسي المعاصر، والدكتور محمد ناصر في (الشعر الجزائري الحديث)، وغيرهم.

### خطوات على الطريق

ولقد أحسن القائمون على برنامج أمير الشعراء أن وقع اختيارهم على الأديب الجزائري عبد الملك مرتاض عضواً في لجنة تحكيم البرنامج، كما أحسنت قناة الجزيرة صنفاً أن جعلت لبلاد المغرب العربي من بثها نصيباً مفروضاً، وسلطت الضوء على قضايا تلك البقعة من الوطن العربي، من خلال برنامج الحصاد المغربي، وبرنامج المشاء الذي ابتدأت أولى حلقاته من مدينة طنجة بالمغرب العربي. ولقد سعدت إذ رأيت بعض الفضائيات الجادة تقتضي هذه السنة الحسنة، وتتسج على هذا المنوال، وإني لأطمع أن يكون هناك المزيد من الاهتمام بالمغرب وأحواله في الإعلام المشرقي، لما بات للإعلام المرئي من سلطان وقدرة على الوصول إلى جميع الطبقات، وأن يتجاوز ذلك الاهتمام

ينله من تلك المعرفة إلا شعور بأن له في تلك البقاع المباركة بالإسلام امتداداً جغرافياً وتاريخياً، يشحذ همته ويقوي عزيمته، لكفى وأربى. ولا يكون الأمر كذلك إلا إذا قدم هذا التاريخ على وجهه، وأحسن عرض فصوله، واستنبط عبْره ودروسه، ودُرِّس على أنه علمٌ من العلوم المهمة، ومادة من المواد الأساسية، لا على أنه قصصٌ تحكى وأخبارٌ تتناقل، ومندوحة للوضاعين والأفاكين والمدلسين، كما وقر في كثير من النفوس، واستقر في العديد من الأذهان.

إن من حق الأجيال الناشئة علينا أن نعزز فيها الشعور بأن لها في المغرب العربي إخوة، في الجزائر وتونس، وفي طنجة ومراكش، والزيتونة وتطوان، وطرابلس وصفاقس والقيروان، يفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم ويشاطرونهم هموم الحياة والأمها وأمالها، وأنهم يؤذّبهم ضياع فلسطين، وما يقوم به يهود من هتك وقتل وتخريب، وأن كثيراً منهم لو كان لهم من الأمر شيء ما فقدوا عن نصرتهم بالمال والأنفس والأولاد. ولا يهولنك ما تعرضه بعض القنوات الفضائية في تلك البلاد من مشاهد لا تسر الأبرار من الناظرين، فإنها لا تعكس حقيقة تلك الشعوب، ولا تتكلم بألسنتها، ولا تعبر عن آمالها وأمها، وإنما هي تبع لأولئك الذين حبطت أعمالهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ذلك أن الشعوب في عمومها للدين أقرب، وعليه أحرص، ودونك كلمة صورت حال هذه الشعوب في يوم من

من حملة العلم ورواة الحديث دخلوا إلى إفريقية وأقاموا فيها، ومن مشاهيرهم يحيى بن سعيد بن قيس بن قهد (كذا بالشاف) الأنصاري، وجده قهد من الصحابة المعروفين، كانت ابنته خولة متزوجة من حمزة بن عبد المطلب، وولد يحيى بالمدينة المنورة، وروى الحديث عن أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، وعمرة بنت عبد الرحمن؛ وروى عنه غالب الأئمة المجتهدين: مالك بن أنس، وأبي حنيفة النعمان، والأوزاعي، والليث بن سعد، والزهري، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، وغيرهم كثير.

وقد دخل يحيى إفريقية على رأس القرن الثاني للهجرة، أرسله إليها الخليفة عمر بن عبد العزيز عاملاً على الصدقات خاصة، ولعله كان من جملة التابعين الموجهين لتفقيه الأفرقة في الدين. ونزل يحيى بمدينة تونس وجالس بها خالد بن أبي عمران التجيبي، وأخذ كل منهما عن صاحبه، كما سمع منه خلق كثير من أبناء تونس في مدة إقامته بينهم ودونوا عنه، فقد أقام ثمة أكثر من عشر سنين، بث في أثنائها علماً إسلامياً كثيراً وأخلاقاً فاضلة.

إن معرفة تاريخ الإسلام والمسلمين في المغرب العربي أنفع للطالب في سنة المبكرة وأجدى من معرفته تاريخ الإمبراطورية الإنجليزية أو الفرنسية، أو إشغاله بتاريخ الفراعنة والهكسوس، ومعرفة خوفه وخضرع ومنتزع، مع أننا لا ندعو إلى إغفال التاريخ الإنساني، ولكن أن تكون هناك أوليات. ولو لم

بن الخطاب، وذي النورين عثمان بن عفان، ثم كبار القادة من أمثال عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وعبد الله بن نافع بن عبد القيس وغيره من كبار الصحابة وفقهائهم، ثم معاوية بن أبي سفيان ثم عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان<sup>8</sup> وصاحب النظر البعيد والأفق الواسع والمواهب النادرة، والعبقري الذي قام بهمته العظيمة التي شهدت له بها إفريقية واهتزت له بها أعطاف التاريخ، والنفذ الذي لم يستقر الإسلام في إفريقية إلا على يديه، بل الذي «نشر الإسلام بموته أكثر من نشره إياه في حياته»<sup>9</sup> تغمده الله برحمته.

فلنُعَرِّفْ تلاميذنا بعقبة ومن جاء بعده من القادة البواسل، الذين انتقموا له ولرجاله، ومنهم زهير بن قيس البلوي قائد عقبة الذي تولى بعده، ثم حسان بن النعمان الفساني، ثم القائد الشهير والفتاح الأكبر لإفريقية موسى بن نصير، الذي أرسى دعائم الملك العربي الإسلامي في المغرب، وأنشأ ولاية السوس التي سميت أيضاً ولاية سجلماسة، وأقام قائده طارق بن زياد قائداً على حامية طنجة، التي ابتداء منها فتح الأندلس الذي يعد تاجاً لفتوح المسلمين في الغرب. أجل، ليتعرف التلاميذ على هذه الأسماء، ولتربط في أذهانهم ببلاد المغرب العربي، فإن في ذلك فائدة كبرى، ولا سيما مع حسن العرض، والاستعانة بوسائل التوضيح، من الخرائط والصور والأصوات، وما إلى ذلك.

على أن نفرأ غير يسير من التابعين

المقيمين في باريس أثناء زيارتي الأولى لها، فألمني أن أرى بعيني وأسمع بأذني ما حققه الفرنسيون في ذلك الجيل من أبناء هذا الشعب الشقيق، إذ وجدتهم لا يحسنون من العربية شيئاً، ولا هم يكادون يبينون، وإنما يרטنون باللغة الفرنسية، ويقرؤون بها ويكتبون.

ولا أنسى التذكير بأهمية الدراما، وقوة الصورة، فليستمن في تقديم هذه المواد بالدراما، فعل المخرج السوري حاتم علي في ثلاثية الأندلس للدكتور وليد سيف، صقر قريش، وربيع قرطبة، وملوك الطوائف، حيث مزج بين الممثلين السوريين والمغاربة، في عمل درامي رائع، لا ينقص من قدره ما وقع فيه من أخطاء لغوية كثيرة، يمكن أن تتجنب في أعمال قادمة بمراجعة لغوية جيدة، ومراقبة لأداء فريق التمثيل.

### قصيدة محمد مهدي

#### الجواهري في الجزائر

وأحب أن أذكر إخواننا المشاركة بقصيدة عصماء دبجتها براعة الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري يخاطب فيها الجزائر، وهي قصيدة طويلة تربو أبياتاً على مائة بيت، تفيض حماساً وتحرقاً ودعوة واستحضاراً لمجد أئيل، وإني أدعو القارئ الكريم أن يقرأ معي هذه الأبيات مرة ومرة ومرة، كما أدعو أساتذة الأدب الحديث في الجامعات أن يقرروا مثل هذه القصائد على طلابهم، دراسة وحفظاً، فمثل هذه القصائد أجدى على الطالب من كثير من شعر الطلاسم والتعميمات، ولا سيما في هذا الزمن الذي نحن أحوح ما نكون

العربي ومغربه، وتختصر المسافات لفرائها بتوليها ما يخدم أواصر الحضارة العربية، وينسج خيوطاً من التكامل والتواصل، ويفتح كوى من المعرفة بين الأقطار العربية، تأكيداً لوحدة الثقافة العربية وتمائل إبداعها وتنوعه»<sup>١١</sup>.

ويحسن بنا ما دمنا في هذا السياق أن نذكر، لمن شاء الوقوف على تاريخ الجزائر الثقافي، كتاب الدكتور أبي القاسم سعد الله، فقد وضع تحت هذا العنوان كتاباً كبيراً، نشرته دار الغرب الإسلامي في تسعة مجلدات، يحسن بالكتبات العامة أو مكتبة الجامعة أن تقتنيه. وقد أماط اللثام فيه عن حقبة من أشد الحقب التباساً في تاريخ الجزائر، وهي حقبة العهد العثماني الذي يمثل ثلاثة قرون من تاريخ ذلك البلد الحبيب، والتي اعتاد الناس على وصفها بالفراغ الثقافي والعقم الفكري، إرسالاً للكلام على عواهنه، من غير تحقيق ولا تدقيق، فجاء بالدليل على حيوية الحياة الثقافية في ذلك العهد، ووفرة الإنتاج الفكري والأدبي فيه.

غير أنه من المسلمات أن الثقافة في الجزائر عانت من اضطهاد رهيب بعضه راجع إلى العهد التركي، وأغلبه ناجم عن الاستعمار الفرنسي الذي كان يهدف إلى استعمار استيطاني، إذ تضن المستعمرون في استخدام الأساليب المختلفة لتجريد الشعب الجزائري من هويته الثقافية المتمثلة في الثقافة العربية الإسلامية وبدله عوضاً عنها ثقافة فرنسية مسيحية، وقد قابلتُ نضراً من كبار السن من الجزائريين

الأيام، ولعلها تمثلهم في هذه الأيام كذلك، لو أنهم وجدوا القدوة الحسنة، والقيادة الراشدة، تلك كلمة العلامة الجليل محمد المختار بن الأعمش الجكني الذي كان يقيم بيتيندوف في رسالته التي بعث بها إلى السلطان محمد بن عبد الرحمن يبايعه فيها عن نفسه وقبيلته، إذ قال: «وقد بايعناك على السمع والطاعة، ولزوم السنة والجماعة، والتمسك بالدعوة ببقائنا إلى قيام الساعة، في الرضى والسخط، والمكره والمنشط، والعسر واليسر، والقل والكثر، والشدة والرخاء، والسراء والضراء، وعلى ما يوبع به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاؤه الراشدون...»<sup>١٠</sup>

ومن تمام ذلك أن يجتهد القائمون على المكتبات في المدارس والجامعات بالتعاون مع المختصين باستجلاب الكتب التي تتناول المغرب العربي، تاريخاً وحاضراً، ثقافة وفنوناً. وهذه الكتب كثيرة كثر غامرة. ولتذع الكتب التي تعرف بأعلام المغرب، كموسوعة أعلام المغرب، ومعجم المؤلفين التونسيين، وغيرهما. كما أحب أن أذكر القائمين على تدريس مادة الأدب الحديث في الجامعات بكتاب رحالة العرب في العصر الحديث، الأديب الكبير أمين الريحاني، عن المغرب الأقصى، وأدعوه لفرض قطع منتخبة منه على طلاب كلية الآداب.

كما أنصح أصحاب المكتبات أن يفتحوا خطوطاً تجارية مع دار الغرب الإسلامي «التي تبذل جهوداً مشكورة لبناء جسور ثقافية بين مشرق الوطن

لك الويل فاجرةً علقت  
«صليب المسيح» على المخدع  
تهدم «بستيل» في موضع  
وتبني «بساتيل» في موضع  
أمن «مشعل النور» ما تحرقين  
أباة على الضيم لم تبيع؟  
ومن يوم «تموز» ما ترسلين  
شواظًا على هلع فرع  
ومن «مطبخ» الثورة المدعا  
ة ما رخت تطهين للجوع  
فيا سواة الدهر لا تطلعي  
ويا بؤرة الغدر لا تنبعي  
ويا قرحة في صميم الشعو  
ب قيتي صديك واستبضي  
تواري فإن هوان الحيا  
ء والطهر والعدل أن تطلعي  
وظلي بحيث يظل الغرا  
ب يحدج في جثث وقع

### الهوامش

- ١- أمين الريحاني، الرحلات: المغرب الأقصى، نور الأندلس، ١٧٥.
- ٢- انظر مقالة (مأساة اللغة العربية في المغرب) لعبد القادر الصحراوي، مجلة دعوة الحق، العدد ٢٣
- ٣- انظر مقالة (اللغة العربية في المغرب إلى أين؟) لعبد القادر الفاسي الفهري، العربية نت، الجمعة ٤ شعبان ١٤٢١هـ.
- ٤- الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ٥
- ٥- انظر: مجلة بصائر الرباط، السنة الأولى، العدد الأول ١٤٢٦، ص ١٩٢
- ٦- لا ننسى بالطبع جهود تلامذة الدكتور عباس في هذا الصدد، وعلى رأسهم

نوافح من سفرها الممتع  
إذ الحق يغمر من بلقع  
ربي الخلد في مسكه الأضوع  
وإذ «يثرب» تلهب المشرق  
ن بالعبقري وبالألعي  
وإذ يهزأ البدوي الأمي  
ن من تاج قيصر أو تبع  
ويقول:  
«جزائر» يا جدت الغاصبين  
بوركت في الموت من مربع  
ويا نبعة الصبر الصامدين  
لوتها الرياح ولم تقطع  
تعاصت فلم تعط من نفسها  
لنكبة جزعاء من زعزع  
ثبي.. فمناط رجاء الشعوب  
وموت الطواغيت أن تزعري  
ويقول صابًا جام غضبه على  
فرنسا الظالمة، ومبينًا كذبتها وافترائها  
في ادعائها صون الحقوق والحريات:  
«جزائر» سامك خسف الهوان  
شرع لثلك لم يشرع  
وسفر به المثل الصالحا  
ت ردت إلى الخلق الأوضع  
أذيلت صحائفه النيرا  
ت، وديست، وليت بمستنقع  
مشت لك «باريس» أم الحقو  
ق! وحشا يدب على أربع  
تمزق أظفاره أمة  
بحق الحياة لها تدعي  
«فرنسا».. وما أقبح المدعى  
كذابًا، وما أخبث المدعي  
فداء لمقصلة الثائرين  
مجازر للشيب والرضع  
لك الويل من رائم أطعمت  
دم الراضعين ولم تشبع

فيه إلى ما يشد الأزر ويشد العزم  
ويقوي الهمة. يقول الجواهري:  
ردي علقم الموت لا تجزعي  
ولا ترهبي جمره مصرع!  
فما سعت جمرات الكفا  
ح لغير خليق بها أروع  
ولا تهني! إن سوم الفخا  
ر يشق على الهين الطيع  
دعي شفات سيوف الطفاة  
تطبق منك على المقطع!  
فأنشودة المجد ما وقعت  
على غير أوردة قطع  
وخلي النفوس العذاب الصلاب  
تسيل على الأسل الشرع!  
فسارية العلم المستقل بغير يد  
الموت لم ترفع  
ومدي يدا لجر النجوم  
وأخرى إلى الجدث البلع!  
فإنك والموت دون الحياض  
صنوان للشرف الأرفع  
ردي علقم الموت بتس الحياة  
ترنق بالذل من مكرع!  
وفيها يقول محبًا ذكرى البطل  
الكبير عقبة بن نافع فاتح بلاد  
المغرب، ومذكرًا بأجداد الإسلام  
العظيم، وانبعاث الأمة العربية على  
عهد الرسالة الإسلامية، وانغمار بلاد  
المشرقين وعواصمها وجناتها بنور  
الثقافة والحضارة المنطلق من جزيرة  
العرب القاحلة البلع:  
«جزائر» يا كوكب المشرق  
ن دجا الشرق من كربة فاطلي  
ويا عقب العرب المغربين  
أعيدي صدى «عقبة» تسمعي  
أجدي عهدًا عفت وابتعي

الدكتورة وداد القاضي.

٧- أطلس تاريخ الإسلام ١٣٥

٨- القيروان لفظ فارسي معرّب معناه

محط الجيش ومناخ القافلة وموضع

اجتماع الناس في الحرب.

٩- أطلس تاريخ الإسلام ١٣٥

١٠- مظاهر يقظة المغرب الحديث ٥١/١.

١١- الشعر التونسي المعاصر، مقدمة

الطبعة الثالثة.



